جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الغربة النفسية في شعر ابن دراج القسطلي

(دراسة تحليلية نقدية)

الدكتورة

فاطمة عيسى خليل الأحول

المدرس في قسم الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات - بكفر الشيخ فرع جامعة الأزهر

العدد الثالث والعشرون

للعام ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م

الجزء التاسع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

الغربة النفسية في شعر ابن دراج القسطلي (دراسة تحليلية نقدية)

من بين ما يذخر به تراثنا الشعري من موضوعات، استوقفني موضوع الغربة النفسية عند ابن دراج (٣٤٨ ــ ٤٢١ هـ) بما تحمله من عواطف صادقة جياشة بالحزن والأسى والإحساس بالتشرد والضياع ، وفضلًا عن أنه من الأدباء المفكرين الذين ينطوي شعرهم على اعتداد بذاته ووطنه وشاعريته ؛ لذا جاءت هذه المعالجة للغربة النفسية وأثرها في بواعث التجربة الشعرية عند ابن دراج .

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى : تمهيد ، ومحورين ، وخاتمة مشفوعة بفهرس للمصادر والمراجع.

التمهيد : عنوانه " الغربة النفسية عند ابن دراج القسطلي (البواعث والتجربة) " : ويشتمل على :* نبذة عن عصره . * وأضواء على حياته.

المحور الأول: « الغربة النفسية في شعر ابن دراج الجانب الموضـــــوعي » ويتضمن توطئة عن مفهوم الغربة ، ومظاهرها النفسية ، مثل : القلق والاضطراب ، الهم والحزن والتشرد ، مشاركة عناصر الطبيعة .

المحور الثاني : « الغربة النفسية وأثرها في شعر ابن دراج رؤية نقدية » وقسمته إلى :

أولاً : الألفاظ والأساليب

ثانياً : الصورة الشعرية .

ثالثاً : البناء الموسيقي .

أما **الخاتمـــة** فكان من أهمها :

** أن الغربة النفسية من الظواهر الاجتماعية اللافتـــة فـــي شـــعر ابـــن دراج القسطلي .

** – كانت ظاهرة الغربة النفسية أبرز عوامل بناء شعره ،حيث ميزته بالقوة والجودة وحسن السبك .

**– اتسعت دائرته الشعرية وغزر إفرازه الشعري ، وتنوعت أفكاره في شعر الغربة النفسية الذي عبر عن همومه وقلقه وألمه وحزنه ، وإحساسه باليأس والذل والضياع والتشرد .

** – قصائده حول الغربة النفسية تثير الشجن والألم خاصة أنه لم يكتف بتصوير همومه واغترابه فقط ، بل وصف اغتراب أبنائه وهمومهم ومعاناتهم ، ولعل هذا الوصف أو الإحساس الأسري من أهم ما تميز به ابن دراج عن غيره من شعراء عصره .

** – غلب على عاطفة ابن دراج الاضطراب والقلق النفسي الذى ظهر في استخدامه للثنائيات الضدية ، والسياقات المعنوية التي تبرز ذلك القلق .

** – تعددت في شعره الأنماط التصويرية ، كما تأثرت صوره الشعرية بالغربة النفسية ، كاشفة عن اغترابه وغربته من خلال الصور التقليدية ، والمفارقة التصويرية .... الخ .

** – كثرة ألفاظ الحزن والأسى في شعره لتصور غربته النفسية .

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وبخاصة النفسي ؛ لتحليله هذه الظاهرة والوقوف على أثرها في شعره .

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه، وأن تكون الإفادة بقدر الجهد .

كلمات مفتاحية: الغربة النفسية ، شعر ابن دراج ، القسطلي ، دراسة تحليلية ، دراسة نقدية ، ابن رداج ، الغربة

دكتورة

فاطمة عيسى خليل الأحول

المدرس في قسم الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات - بكفر الشيخ - فرع جامعة الأزهر

Email: Elahwalfatma@yahoo.com

Abstract

Psychological alienation in the poetry of Ibn Daraj Al-Qastali (Critical Analysis Study)

Among the topics that our poetic heritage abounds in, the subject of psychological estrangement stopped me by Ibn Darraj (348_421H) with what he endured with sincere emotions, sad, sad, distressed, a sense of homelessness and loss, as well as being among the literary writers whose poetry involves self-esteem, homeland and poetics; So this treatment came to the psychological alienation and its impact on the motivations of the poetic experience of Ibn Daraj.

The nature of the research required its division into: an introduction, two axes, and a conclusion with an index of sources and references.

Preface: Its title is "The Psychological Alienation of Ibn Daraj Al-Qastali (The Emitters and Experience)": It includes:

About his era. * And lights on his life.

The first axis: «Psychological alienation in the poetry of Ibn Darraj the objective aspect» and includes a precursor to the concept of alienation, and its psychological manifestations, such as: anxiety and turmoil, anxiety, sadness and displacement, the participation of the elements of nature.

The second axis: «Psychological alienation and its effect on Ibn Daraj's poetry: a critical vision» and divided it into:

First: Words and methods

Second: The poetic image.

Third: Musical construction.

As for the conclusion, it was one of the most important:

That psychological alienation is a notable social phenomenon in the poetry of Ibn Daraj Al-Qastali.

**** The phenomenon of psychological alienation was the most prominent factor in the construction of his hair, as it distinguished him with strength, quality and good casting.**

**** His poetic circle expanded and his poetic secretion expanded, and his thoughts varied in the poetry of psychological alienation, which expressed his concerns, anxiety, pain, and sorrow, and his sense of despair, humiliation, loss and homelessness.**

**** His poems about psychological alienation arouse imprisonment and pain, especially that he not only depicted his concerns and alienation only, but also described the alienation of his children and their concerns and suffering, and perhaps this description or family feeling is one of the most important characteristics that Ibn Darraj distinguished from other poets of his time.**

**** Ibn Darraj's affection overwhelmed the turbulence and psychological anxiety that appeared in his use of antibody diodes, and the moral contexts that highlight that anxiety.**

**** - Pictorial patterns abounded in his poetry, and his poetic images were also affected by psychological alienation, revealing his alienation and estrangedness through traditional images, the paradoxical paradox .... etc.**

**** The frequent words of sadness and sorrow in his hair to visualize his psychological strangeness.**

**** In this study, I relied on the descriptive analytical approach, especially the psychological one, to analyze this phenomenon and determine its impact on his poetry.**

I ask God to make this work pure for his face, and that the benefit be as much as possible.

Dr.

Fatima Issa Khalil Al-Ahwal

The teacher in the literature and criticism department In the College of Islamic and Arab Studies for Girls - Kafr El-Sheikh Al-Azhar University Branch

Elahwalfatma@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين.

وبعد

فمن بين ما يذخر به تراثنا الشعري من موضوعات، استوقفني موضوع الغربة النفسية عند ابن دراج (٣٤٨ _ ٤٢١ ه) بما تحمله من عواطف صادقة جياشة بالحزن والأسى والإحساس بالتشرد والضياع ، وفضلًا عن أنه من الأدباء المفكرين الذين ينطوي شعرهم على اعتداد بذاته ووطنه وشاعريته ؛ لذا جاءت هذه المعالجة للغربة النفسية وأثرها في بواعث التجربة الشعرية عند ابن دراج .

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى : تمهيد ، ومحورين ، وخاتمة مشفوعة بفهرس للمصادر والمراجع.

التمهيد :عنوانه " الغربة النفسية عند ابن دراج القسطلي (البواعث والتجربة) " : ويشتمل على :

* نبذة عن عصره .
* وأضواء على حياته.

المحور الأول: " **الغربة النفسية في شعر ابن دراج الجانب الموضوعي** "

ويتضمن توطئة عن مفهوم الغربة ، ومظاهرها النفسية ، مثل : القلق والاضطراب ، الهم والحزن والتشرد ، مشاركة عناصر الطبيعة .

المحور الثاني : **" الغربة النفسية وأثرها في شعر ابن دراج رؤية نقدية "**

وقسمته إلى :

أولاً : الألفاظ والأساليب

ثانياً : الصورة الشعرية .

ثالثاً : البناء الموسيقي .

أما الخاتمـــة : وفيها أهم ما توصل إليه البحث .

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المـــنهج الوصـــفي التحليلـــي ، وبخاصة النفسي ؛ لتحليله هذه الظاهرة والوقوف على أثرها في شعره .

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه ، وأن تكـــون الإفـــادة بقدر الجهد .

تمهيـد :

أولاً : الغربة النفسية عند ابن دراج القسطلي (البواعث والتجربة):

معرفة البواعث الحقيقية للتجربة الشعرية– عامة يتطلب معرفة خفايا النفس البشرية، والتيارات المهمة التي نازعت نفسيته من خلال سيرته، فالشعر تعبير عن تنازع النفس بين الدوافع الداخلي والبواعث الخارجية وما يستبد بها من ميول ونزعات يشحذ في نفسه الشعور بالتوتر أو بالنشوة والذهول، تفيض به رؤيته وصوره وأدواته الشعرية.

وتجربة ابن دراج في الغربة ترجع إلى ظروف بعضها سياسية ، واجتماعية ميزت عصر الشاعر ، وبعضها ذاتية تتعلق بشخصيته .

عاش ابن دراج القسطلي في الفترة ما بين سنة ٣٤٧ هـ– ٤٢١م وهي فترة شهدت فيها الأندلس « سيطرة الدولة العامرية ، ثم عصر الفتنة، وسقوط الخلافة الأموية، وقيام دول الطوائف، وتفاقم الخطر النصراني ، وتعاظم دور اليهود واندلاع النزاعات العرقية الطائفية » (١) .

ومثل هذه الأحداث السياسية أثرت بلا شك في خبرته التاريخية ، حيث رصد بدقة هذه الفتن والاضطرابات المتتالية التي عاشت فيها الأندلس سنوات « شداداً نكدات صهاباً مشؤومات ، كريهات المبدأ والفاتحة ، قبيحات المنتهى والخاتمة .... » (٢).

وفي هذا الجو الخانق ساءت أحوال الشعراء بعامة ومنهم ابن دراج، فقد لبث في قرطبة يعلل نفسه برجاء انقشاع الأزمة وجلاء الفتنة

---

(١) في دراسة التراث د/ محمود إسماعيل – رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة ٢٠٠٤ص ٢٣ .

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة – بيروت ، ط : ٢ / ١٣٩٩ هـ (ق ١ – جـ ٢ ص ١٧) .

فحاول أن يساير تقلب الدول ، فعندما لم يجد ما كان يصبو إليه ، قصد سبتة بعيدًا عن هذا الواقع المزري ... وتلك الفوضى السياسية الذي عانت منها قرطبة خاصة ، والأندلس عامة .

ألوانًا من الظلم والاستبداد والفساد الذي لا شك سوف ينعكس على تجربة ابن دراج شعورًا بالغربة في مجتمع تفشي فيه الطمع والتطلع إلى الغلبة ، وخاصة بين هؤلاء الذين كانوا يرون أنه دونهم في المنبت والاستعداد ، وفي التأهل للسلطان والحكم ، أضف إلى ذلك أن كثرة الانتصارات أفضت إلى وفرة الغنائم والثروات، وساعد على انتشار اللهو والإقبال على الملذات .

ومما عزز شعوره بالغربة ما حفل به العصر من مظاهر فساد شنيعة، كإرهاق الرعية وإلزامهم بدفع المكوس والضرائب الجائرة ، إضافة إلى نهب أموال الناس من طرف الولاة والأمراء ؛ إما لتبذيرها في التسلية ومجالس اللهو والبذخ ، وشراء الجواري وتشييد القصور أو دفعها إتاوات لملوك الإفرنجة تزلفا وتذللا لهم ، حتى يضمنوا بقاءهم في الحكم، أو يضمرون بها نار الحروب القائمة على أشدها بين هذه الأسر الحاكمة (١).

أضف إلى ذلك انتشار " اللصوصية والإقطاع والقتل والنهب بشكل كبير فسيطر الذعر ودبّ الهلع وانعدم الأمن وغدت الحياة الاجتماعية مهلهلة الأوصال ، كما أضحت الحياة الاقتصادية بالغة السوء ؛ إذ ساد الركود في الحياة التجارية والصناعية ، وانعدم تداول العملة الثابتة والحقيقية ، مما

(١) قصة العرب في أسبانيا – ستانلي لين بول – ترجمة علي الجارم – جزيرة الروضة ١٩٤٤ م ، ص ١٥٩ .

تسبب في نكسة اجتماعية واقتصادية شديدة " (١).

وقد أفضى ذلك إلى شعوره بالغربة ولوّن شعره بالشكوى من تصدع القيم الروحية في المجتمع الأندلسي ؛ وتشكلت لديه رؤية ظلامية مليئة بالخوف والقلق والاضطراب ، والإحساس بالتشرد والضياع ، والبحث عن حياة الاستقرار والطمأنينة ، كما يبدو من قوله (٢) :

ودنا بِهِ أَجَلُ الرَّحِيلِ كَأَنَّهُ ... أَجَلُ المماتِ دَنَا بِهِ المقدارُ

بِمُشَرَّدٍ قَلِقِ الثَّواءِ بِمَنْزِلٍ ... لا يَنْثَنِي فِيهِ لَهُ الزُّوَّارُ

مثْوايَ فيه تَقَلْقُلٌ وتَأَهُّبٌ ... وَقِرَايِ فِيهِ ذِلَّةٌ وصَغَارُ

هذه البواعث الاجتماعية تسير في خط مواز مع « الجانب الحضاري للمجتمع الأندلسي عامة وهو جانب الحياة اللاهية، وأجواء الطرب وجانب الطبيعة الأندلسية برياضها وأزهارها ومنتزهاتها، ومجالس الأنس والشراب والغلمان والجواري ذلك النعيم المادي والأجواء السحرية الحالمة التي عاش جانباً منها شعراء الأندلس»(٣) ومنهم ابن دراج القسطلي ، وملأ نفوسهم بالاضطراب والقلق ، والإحساس بالضياع ، والشعور بالخوف على الوطن من الضياع والاندثار ، وعلى مستقبلهم من حياة التشرد والفقر والذل والهروب من مجتمع يسوده هاجس القلق ويحدق به الخطر من كل جانب . وهذا الإحساس بالخوف والقلق والاضطراب والتشرد والحزن والألم ،

---

(١) قرطبة الإسلامية في القرن الخامس الهجري الحياة الاقتصادية والاجتماعية . محمد عبد الوهاب – الدار التونسية ١٩٨٤م ، ص ٩١ – ٩٥ .

(٢) ديوان ابن دراج القسطلي. د / محمود علي مكي – الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ – ١٩٦١ م – المكتب الإسلامي ص ١٥٦ .

(٣) تجربة الغربة والحنين في شعر ابن خفاجة الأندلسي ، إعدد فتيحة دخموش ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، الجمهورية الجزائرية ، ص٥٠ بتصرف .

وانهيار القيم والشعور بالمرارة والإحساس بالضياع وغير ذلك من مظاهر الغربة النفسية .هو ما يحاول البحث استخلاصه من شعر ابن دراج ، فهو واحد من شعراء تلك الفترة المضطربة من حياة المجتمع الأندلسي .

ثانياً : ابن دراج القسطلي [١]:

وابن دراج هو " أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دراج الأندلسي القسطلي أديب ومفكر ، وأحد الشعراء الفحول في عصره وله ديوان ضخم يغلب عليه المديح يلونه الحديث عن الغربة وألم الفراق والبعد عن الأهل والحنين إلى الوطن ، فلا تكاد تعثر على قصيدة في المديح إلا وفيها ذكر الألم والاغتراب والحنين، ومرجع ذلك «أن أجداده كانوا سادة قسطلة وحكامها، أي أنه ألف العيش الرغد والحياة الناعمة ، فلعل سلطان قومه قد زال ، ولعل رئاستهم قد انتقلت إلى غيرهم ، ولكن ابن دراج ظل على تعلقه بحياة القصور والاتصال بالرؤساء » [٢].

* مولده ونشأته [٣]:

ولد سنة ٣٤٧ فى بيت من بيوت قبيلة صنهاجة المغربية بمدينة من أعمال جيّان تسمى قسطلة دراج، وفى نسبتها إلى جده ما يدل على عراقة أسرته، ومنذ نعومة أظافره ألحقه أبوه بكتاب حفظ فيه القرآن وبعض الأشعار، ثم انتقل إلى حلقات الشيوخ بجيّان فاتسعت ثقافته اللغوية والأدبية،

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان أبو العباس شمس الدين ابن خلكان البرمكي ، المحقق: إحسان عباس : دار صادر – بيروت،ج١ ،ص١٣٥ .

(٢) في الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . د / أحمد هيكل ص ٣٠٩ .

(٣) تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ – ١٩٩٥ مج٨ ، ص ١٩٠

ويبدو أن ملكته الشعرية تفتحت مبكرة، فأخذ ينظم الشعر حتى عرف بين شعراء بلدته، وطمحت نفسه إلى الشهرة، فرحل إلى قرطبة محاكيا بذلك بعض شعراء جيَّان ممن سبقوه إليها ، ونالوا فيها غير قليل من الشهرة مثل : "أحمد بن فرج الجيانى " شاعر الحكم المستنصر، فرحل إليها مخلفًا وراءه زوجه وأولاده ،وكان المنصور بن أبى عامر حاجب المؤيد هشام فى الذروة من سلطانه، وكان يرعى الشعراء، وخصص ديوانًا لأعطياتهم ورواتبهم وأقام عليه أديبًا بصيرًا بالشعر هو عبد الله بن مسلمة فعرض عليه ابن دراج مدحة فى المنصور أعجبته فقدمه إليه، وأخذ المنصور يختبر بداهته فى نظم الشعر وهو يوفّق فيما يطلبه ، وألحقه بدواوينه وفسح له فى مجالسه، وطلب إليه ذات مرة أن يعارض أبا نواس فى رائيته: «أجارة بيتينا أبوك غيور» فنظم قصيدة بديعة صوّر فيها امرأته متلهفة عليه فى وداعه مشفقة ورضيعها فى المهد وهى تتجرع مرارة الفراق وتنتحب يقول[١]:

ولما تدانت للوداع وقد هفا　　بصبرى منها أنّة وزفير

تنقل ابن دراج بين بلدان كثيرة ، فتضاعف حنينه إلى وطنه ويشتد شوقه إلى أهله، وسيطرت عليه الكآبة وفارقته ابتسامته وخيَّم على نفسه الحزن والأسى ، فهو دائما يبكي فراق أهله وبعده عن وطنه ، فصوّر غربته النفسية بأساليب متنوعة، تشي بحرارة العاطفة وعمق التجربة .

ثالثاً : مفهوم الغربة :

مفهوم الغربة يختلف من إنسان إلى آخر ، ومن مجتمع إلى آخر ؛ لأنه يتلون بطبيعة صاحبه ومجتمعه وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات ، وبطبيعة العصر بما يحتويه من قيم وأعراف

(١) تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف، ص ١٩٠ .

ولكن الاستخدامات المعاصرة لمصطلح الاغتراب تكاد تتفق علـــى أن الاغتراب هو التباعد أو التنافر ، أو عدم الحميمية مع الآخر ، أو الانفصال عن الذات والمجتمع ، حيث يميز علماء النفس بين نوعين من الاغتراب – الاغتراب عن النفس –، والاغتراب عن المجتمع .

١ - الغربة عن (النفـــس):

وتعني انفصال الفرد عن ذاته الحقيقية التي يحس بها ويصطنع ذاتا أخرى زائفة ، وذلك بفعل تأثير المجتمع وضغوطاته المتمثلة في الأعـــراف والتقاليد والنظم ، وتناقضات هذا المجتمع ، وهذا يؤدي إلى طمـــس الـــذات الحقيقية [١] .

والغربة عن الذات إحساس مقيت صعب ينهش الفـــؤاد ويولـــد فـــي النفس شعورًا بالحزن والاكتئاب ووجع القلق والخوف ، وغربة الـــذات أن ينسلخ المرء عن عالمه البشري الذي يعيش فيه ويمارس طقوس الوحدة ، ويتقوقع داخل نفسه أو يغترب عن ذاته ويصبح عاجزًا عن التصالح معها ، مما يجعله يشعر دائما بالإنهزامية والسوداوية .

٢ ـ الغربة عـــن المجتمـــع :

وهو أن يرفض الفرد صراحة كل أو بعض أو جـــل قـــيم المجتمـــع وأعرافه وتقاليده ، وقد يقوم بإبراز سلبياته وتناقضاته وينأى بنفســـه عـــن إقامة صلات اجتماعية أو علاقات ودية مع الآخرين [٢].

---

(١) الاغتراب والإبداع الفني د / محمد عباس يوسف – دار غـــريب للطباعة والنشـــر ، ط : ٢٠٠٤ ص ٢٢.

(٢) المرجع السابق .

وفي اللغة « غربت الشمس تغرب غروبا ، غابت في المغرب ، والغربة النزوح عن الوطن والاغتراب » [١] ، ويقال في مادة « غَرُبَ » تقول : « تَغَرَّب ، واغترب »فهو غريب ، واغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه ، والتغريب « النفي عن البلد » « وأغرَب » جاء بشيء غريب ، ويقال : « أَغرُب » عني ، أي : تباعد[٢] .

و« مِنْ شأن الغرباء في الأسفار ومنْ نزحت به الدار عن إخوانه وأترابه، إذا دخل موضعاً مذكوراً، ومشهداً مشهوراً، أن يجعل لنفسه فيه أثراً، تبرُّكاً بدُعاء ذوي الغُربة»[٣] .

وتجربة" ابن دراج "في شعر الغربة تعد مثالا للعمل الفني المتكامل، ومثالًا للتجربة الشعرية الصادقة، فقد عاش هذه التجربة على المستوى الحياتي والواقعي .

---

(١) لسان العرب ابن منظور – دار صادر – بيروت ، مادة (غرب) .

(٢) مختار الصحاح. زين الدين أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى سنة ٦٦٦ هـ) ، تحقيق / يوسف الشيخ محمد – المكتبة العصرية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ، جـ ١ ص ٢٢٥ .

(٣) أدب الغرباء ، لأبي الفرج الأصبهاني ، ، تحقيق د/ صلاح الدين المنجد ، _دار الكتاب الجديد _، بيروت ، لبنان ١٩٧٢م ،ص٢٣ .

المحـــور الأول

الغربة النفسية في شعر ابن دراج

« الجانب الموضوعي »

الاغتراب النفسي هو عبارة عن انفعالات الشاعر ، هذه الانفعالات التي تثير وجده الشاعر فتجعله يغوص في الذكريات ليخفف من قلقـــه وشـــوقه فيتذكر ديار الأحبة فيقف ويستوقف عليها باكيا ومستبكيًا ، « والغريب من إذا ذكر الحق هجر، وإذا دعا إلى الحق زجر، وإذا قعد لم يزر، الغريب مـــن إذا قال لم يسمعوا قوله، وإذا رأوه لم يدوروا حوله ، من إذا أقبل لم يوسّـــع له، وإذا مرض لم يسأل عنه ، الغريب من إن زار أغلق دونه البـــاب ، وإن استأذن لم يرفع له الحجاب الغريب ليله أسف، ونهاره لهف، وغداؤه حزن، وعشاؤه شجن، وسره علن، وخوفه وطن »[١] ، وهذه الغربة نتاج العوامل التي أنتجت غربتيه المكانية والزمانية وأخذت بعداً روحيًا يتصـــل بنفســـه، وعلى الرغم من وجود هذا النوع من التعبير عن الغربة في الشعر المشرقي عامة فإن هذا الإحساس به أخذ صورة أكثر بروزاً وأكثر تكراراً وعمقاً فـــي الأندلس، وعند ابن دراج على وجه الخصوص ، فقد كانت غربته النفســـية لونا بائسًا من حياته تبرز ما كان يحسه من ضيق ويعانيه مـــن حســـرة ويواجهه من اختناق في غربته المكانية والزمانية ولهذه الغربـــة مظـــاهر إنسانية يمكن تتبعها في شعره بصورة واضحة على هذا النحو :

---

(١) تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ،بمصر ، ج٥ ، ص٤٦٤ بتصرف .

** **القلق** .

وهو حالة من حالات الاضطراب الداخلي جعله نموذجاً حياً للدراسة النفسية المضطربة، ويصور " ابن دراج " حقيقة هذا القلق ، فيتعجب من تلك الخطوب التي كشفت ستره ، وجعلته مغتربًا ليس له وطن يستقر فيه ، فهو مثل المولود الذي فطم قبل أوانه ؛ ولذا يمثل يومه في الغربة بالهم الذي لا ينتهي ، ويوم اللعب والمرح لا يتم أبدًا ، ، ويشبه إقامتهم في تلك الديار بطلع النخل ، فرحيله دائم متكرر يهب كرياح الجنوب ، وكلسع الأفاعي الذي يعاود سمها عاماً بعد عام ، فالقلق يسيطر على نفسه المليئة بالحزن ، فجرحه ينزف دمًا وقلبه يتقطع من الحسرة لفراقه لأحبابه وغربته عن دياره ،فيقول (١) :

وحَتَّامَ النوى تهوي برحلي ... وَقَدْعَقَدَتْ بذمَّتِهِ ذِمامِي

فليس لنا إلَى وَطَنٍ مَرَدٌّ ... ولا فِي دارِ قومٍ من مُقامِ

ولا حَلَّتْ بنا دارٌ فزادَتْ ... عَلَى ذاتِ الحوافِرِ والسَّنَامِ

مخاضٌ مَا لمولِدِهِ رَضاعٌ ... وتَرْحَالٌ أَمَرُّ من الفِطَامِ

وعامُ مُقامِنا عامٌ كيومٍ ... ويومُ رَحيلِنا يومٌ كعامِ

كيومِ الهمِّ لَيْسَ بذي انتقاصٍ ... ويومِ اللهوِ لَيْسَ بذي تَمَامِ

كَأَنَّا فِي المَنَازِلِ طَلْعُ نخلٍ ... يُوَافِي أَهْلَهُ أَمَدُ الصِّرامِ

نُرَوَّعُ بالنَّوى والذُّعْرُ باقٍ ... وَنُفْجَأُ بالأَسَى والجُرْحُ دامِ

وَمَا سَكَنَتْ جُنوبٌ فِي مِهادٍ ... ولا مُلِئَتْ عيونٌ من مَنَامِ

---

(١) الديوان ص ٢٣٠ – ٢٤٠ .

كمـــا حُـــدِّثْتَ عـــن لَسْـــعِ الأَفـــاعِي يُعـــاوِدُ سُـــمُّها عامـــاً بِعـــامِ
وأفْجِـــعْ بـــالنَّوى فِـــي دارِ سَـــفْرٍ فكَيْـــفَ نـــوىً عَلَـــى دارِ المُقـــامِ

فالشاعر يتمنى أن يستقر في وطنه وديياره ولو فـي المنـام ، لكـي يتخلص من دياجير الغربة والوحشة وضغوط القلق والاضـطراب ، وهـذه الغربة النفسية أشبعته ألماً وعذاباً ، وأذاقته كل ألـوان البـؤس والشـقاء وسامه سوء العذاب، فلم يجد الشاعر من يؤنسه ويخفف عنه مصائب الدهر إلا المنصور بن أبي عامر ، فهو الوحيد الذي كفاه من صـروف الـزمن ، وخفف عنه ألم العذاب يقول (١) :

لا ومَـــنْ آوى اغتِرابِـــي وشـــفى حَـــرَّ مُصـــابي
وكفـــانِي صَـــرْفَ دهـــرٍ ســـامَني سُـــوءَ العـــذابِ

وعلى هذا النحو يظل شعوره بالقلق والاضطراب يسيطر على نفسه وعقله ، ويتمكن من جوارحه فيقول (٢) :

لَـــكَ اللهُ بِالنَّصْـــرِ العزيـــزِ كَفيـــلُ أَجَـــدَّ مُقـــامٌ أَم أَجـــدَّ رَحيـــلُ

هذا القلق يسيطر كما يبدو من الشطر الثـاني يسـيطر علـى نفسـه ويسقطه في هذا السؤال الذي يجسد معاناته فهو تائـه حيـران ، جاهـل بمصيره ، قلق لا يدري ماذا يفعل هل يبقى في غربته ، أم يرحل إلى مكان آخر ؟؟؟ ، ثم يستمر هذا التساؤل الذي يعكـس شـعوره بـالقلق النفسـي

(١) الديوان ص ٣٥٦ .
(٢) الديوان ص ٣ .

وإحساسه الزائد بالغربة والذل والاضطراب العاطفي ومنه قوله[١] :
ويستطيع أن يُخْبر أهله بأنه نال ما تمنى، وأنَّ غربته أسفرت عن الأمن والاستقرار فيقول [٢] :

عسى الذين نأو عني أُخَبِّرُهم بأن نفسي مبلوغ أمانيها

فالقلق كما هو واضح حالة مفروضة عليه ، كما أن بُعده عن وطنه وأهله ، ترك في أعماقه شرخاً عميق الأثر، سجله شعره المشحون بأشجان الغربة ووطأة الوحدة النفسية وقسوة الحرمان من أنس الأهل والدار فيقول بعد هذا البيت :

نغيث بقايا من نفوس كأنها بقايا نجوم القذف غار سناها

عسى راحة المنصور تعقب راحة وحتم لآمال العفاة عساها

فهو يحاول أن يلملم جروحه ، ويداوي نفسه التي أصبحت كبقايا النجوم التي أغار عليها الأعداء فغارت ، ويتأمل في المنصور بن أبي عامر الراحة والسكينة والطمأنينة التى طالما حلم بها .

والشاعر دائم الشعور القلق ، فرحيله دائم كرحيل الأهلة والأقمار، فهو لا يشعر بالأمان والاستقرار ، وإنما يعيش حياة قلقة مضطربة ؛فيقول [٣] :

ودنا بِهِ أَجَلُ الرَّحِيلِ كَأَنَّهُ أَجَلُ المماتِ دَنَا بِهِ المقدارُ
بِمُشَرَّدٍ قَلِقِ الثَّواءِ بِمَنْزِلٍ لا يَنْثَنِي فِيهِ لَهُ الزُّوَّارُ
مثْوايَ فيه تَقَلْقُلٌ وتَأَهُّبٌ وَقِرَايِ فِيهِ ذِلَّةٌ وصَغَارُ

(١) الديوان ص ٩ .
(٢) السابق نفسه .
(٣) المرجع السابق ص ١٥٦ .

فمشاعر القلق والاضطراب النفسي سيطرت عليه، ودفعته إلى الحضور من حاضره المرير إلى الماضي وذكرياته ، والوقوف على الأطلال ووصف الأسفار ؛لذا نراه « كثير الحديث عن قلقه وضياعه وسوء حاله ، وغني عن البيان شرح أسباب ذلك عند هذا الشاعر فظروف الرجل الخاصة وظروف الأندلس العامة كانت من دواعي ذلك ، وخاصة إذا كانت تلك الظروف تحيط بشاعر شديد الحساسية كابن دراج الذي لم ينس أنه قد أذلّ من بعد عز، واحتاج من بعد غنى ، واضطر وهو الشاعر الكبير وسليل السادة من حكام قسطلة إلى أن يقصد الناس ليبيع شعره بقوته وقوت أولاده»(١) .

ومن الآثار التي تركتها الغربة على نفسه إلى جانب القلق والاضطراب نجد ظاهرة (الهم والحزن والتشرد النفسي) :

فمظاهر الألم والهم بارزة في شعره فعندما يتذكر زوجته وأولاده وما ينتابه من الحزن والبكاء والألم ، بخاصة عندما يتحدث عن لحظة الفراق يقول (٢) :

ولله عزمي يوم وَدَّعْتُ نحوه	نُفُوساً شجاني بَيْنُهَا وَشَجاها
وَرَبَّةُ خدرٍ كَالجُمَانِ دُمُوعُها	عَزِيزٌ عَلَى قلبي شُطُوطُ نَوَاها
وَبِنْتُ ثمانٍ مَا يزال يَرُوعُنِي	عَلَى النَّأْيِ تَذْكَارِي خُفُوقَ حَشَاها
وَمَوْقِفَهَا وَالبَيْنُ قَدْ جَدَّ جَدُّهُ	مَنُوطاً بحبلَيْ عَاتِقَيَّ يَدَاها
تَشَكَّى جَفَاءَ الأَقْرَبِينَ إِذَا النَّوى	تَرَامَتْ برحلي فِي البلادِ فَتَاهَا

(١) الديوان ص ١١ .

(٢) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، د/ أحمد هيكل ،دار المعارف ١٩٨٥م ، ص ٣١٨.

فهو هنا يشركنا في لحظة فارقة في حياته وهي وداعه لزوجه ، ويصور دموعها الغزيرة التي تسببت في احتراق قلبه من هول وقعها على نفسه ، ويتذكر ابنته ذات الثمان، وفؤادها يخفق اضطراباً وحزناً لفراق أبيها ، وقد تعلقت يداها بكتفه وعينها تشكو له حزنها بعد رحيله .

كذلك حزنه الشديد لحظة فراقه لوطنه ، ووداعه لأهله فيقول(١) :

ويارب يوم بان صدع سلامه	بصدع النوى أفلاذ قلبي إذ بانوا
نودعهم شجوا بشجو كمثلما	أجابت حفيف السهم عوجاء مرنان
ويصدع ما ضم الوداع تفرق	كما انشعبت تحت العواصف أغصان

كما يصور حالته النفسية لحظة وداعه لزوجه وأولاده

والحذر يخفق في أحشاء والهة	تردد الشجو في أحشاء محزون
أجاهد الصبر عنها وهي غافلة	عن لوعة في الحشا منها تناجيني
يا هذه كيف أعطي الشوق طاعته	وهذه طاعة المنصور تدعوني
شدي علي نجاد السيف أجعله	ضجيع جنب نبا عن مضجع الهون
رضيت منها وشيك الشوق لي عوضا	وقلت فيها للوعات الأسى بيني
فإن تشج تباريح الهوى كبدي	فقد تعوضت قربا منك يأسوني
وإن يت موقف التوديع مصطبري	فأحر لي بدنو منك يحييني

« ترى من ملامح نفسية ابن دراج شعوره دائماً بالحاجة إلى الأمن ، وإحساسه أبداً بضرورة الاستقرار وفزعه الشديد من التشتت والتشرد

(١) الديوان ص ٨٩ .

والضياع » [١]، كما ترتبط عاطفة اغترابه في عالمه الحالم بقلق الموت والمصير الإنساني المحتوم الذي تلقى فيه معاني الفقد والرحيل بظلال قاتمة على تجاربه ، وهذه الهواجس التي يعكسها انشغاله بفكرة الموت تثير لديه مشاعر القلق من نهاية تجربته العاطفية ، وكأن الموت هو خلاصه الوحيد من الألم والحزن واليأس ومشاعر الضياع التي سيطرت على نفسه .

وعلى الرغم من فراقه لأهله واغترابه عنهم، وشعوره أنهم يسكنون في قلبه، لكنه يشعر بالقلق والخوف عليهم، ولا يستطيع نسيانهم إلا بالموت ، فقد كان فراق الشاعر لأسرته كفراق الروح للجسد، ولكنه أراد أن يخفف من تلك الأجواء الحزينة، ويحاول أن يطمئن أبناءه بأنه سيأتي لهم بالخير، وأن عيشهم بعودته سيصبح رغدًا ميسورًا، فيقول [٢] :

وُجوهٌ تَنَاءَتْ فِي البِلادِ قُبورُها ... وإِنَّهُمُ فِي القَلْبِ مِنِّي لَسُكَّانُ

وَمَا بَلِيَتْ فِي التُّرْبِ إلاّ تَجَدَّدَتْ ... عَلَيْهَا مِنَ القَلْبِ المُفَجَّعِ أَحْزانُ

هُمُ اسْتَخْلَفُوا الأَحبابَ أَمْوَاجَ لُجَّةٍ ... هِيَ المَوْتُ أَوْ فِي المَوْتِ عَنْهُنَّ سُلْوَانُ

بَقَايا نُفُوسٍ مِنْ بَقِيَّةِ أَنْفُسٍ ... يُمِيتونَ أَحْزانِي فَدينوا بما دَانُوا

أَقُولُ لَهُمْ صَبْراً لَكُمْ أَوْ عَلَيْكُمُ ... عَسى العيشُ مَحمودٌ أَوِ المَوْتُ عَجلانُ

واللافت أن فكرة الموت سيطرت على ذهن فكررها أكثر من مرة في إشارة إلى أن الموت هو التسلية الوحيدة التى تخفف الألم الذى يسيطر على نفسه فيقول [٣] :

---

(١) دراسات أدبية ، ط : ١ ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٠م ، ص ٢٥٤ .

(٢) الديوان ص ٨٩ ، ٩٠ .

(٣) الديوان ص ٢٥١ .

وِلِلْمَـوْتِ فِـي عـيشِ الجبـانِ تلـوُّنٌ وللـذُّعْرِ فِـي سَـمْعِ الجـريءِ صَـفيرُ

لَبـانَ لَهَـا أَنِّـي مِـنَ الضَّـيْمِ جـازِعٌ وأَنِّـي عَلَـى مَـضِّ الخُطُـوبِ صَـبُورُ

فكأنه بهذا يريد أن يهرب من غربته النفسية إلى الموت ، وكما سبق فقد عاش فترة مليئة بالاضطرابات السياسية والاجتماعية وهي فترة ملـوك الطوائف ، والتي قذفت به في مهب الغربة النفسية ، فقد كان كـل شـخص يسعى لتحقيق طموحاته وأطماعه في ظل أجواء مليئة بالقلق والخوف ، وقد ترك كل ذلك أثراً نفسياً على حياة ابن دراج ، فرحل ليبحث عن حياة المجد والاستقرار ، ولا شك أن كثرة الرحيل من بلد إلى بلد جعله يعيش حياة قلقة متشائمة مليئة بالحزن والأسى ، وجعله يتعمق في وصف قلقه وهمومـه وأحزانه ، وما يتركه هنا الرحيل من أثر على نفسه .

فعلاقة الشاعر النفسية القاتمة بالمصير الإنساني لدى ابن دراج أشبه بعلاقة تلازمية، فالشعور باليأس والشقاء في علاقة ذاته بالمجتمع من حوله يفضي إلى مواجهة الموت ؛ لأن " الرؤية الرومانسية للموت مـن خـلال الإحساس الحاد بالألم رؤية نفسـية تنطلـق مـن ذات الشـاعر المتألمـة والمشتعلة " (١) .

ويقول أيضًا (٢) :

ولكن أبى ما في الفؤاد من الأسى وأعضل ما بين الضلوع من الجمر

وما لف عهد الله في ثوب غربتي وأسفـر من إشراق وجهك للسفر

(١) الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث ، طلعت عبدالعزيز أبـو العزم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م ،ص ٧٤ .

(٢) الديوان ص ٥٦ .

فالشاعر يصف مدى الأسى الذي يسيطر عليه ويتمكن من مشاعره ، ويوقد بين جوانحه الجمر من فراقه لأهله ووطنه .

فالأمثلة السابقة تنطوي على الشعور الدائم بالسآمة واليأس ، وانغلاق النفس على الآسى، وهي أحاسيس اغتالت أحلامه ، وأورثته زهدًا في الحياة، وشوقًا إلى زوجه وأولاده وموطنه .

ومن مظاهر الغربة النفسية عند ابن دراج (**تعاطف عناصر الطبيعة معه**)، فقد لجأ إلى مناجاة ما يشعر معه بالتلاؤم والانسجام الروحي ، فيناجي مظاهر الطبيعة التي تبحث معه عن ذاته التائهة، وهذا واضح في تصويره الاغتراب النفسي في الطير الذي يشترك معه في أحزانه وتشرده، فيقول[١] :

سحائبُ تزجيها الرياح فإنْ وَفَتْ ... أَنافَتْ بِأَجْيَادِ النعامِ فُيُولُ

ظباءُ سِمَامٍ مَا لَهُنَّ مَفَاحِصٌ ... وزُرْقُ حَمامٍ مَا لَهُنَّ هَدِيلُ

سَوَاكِنُ فِي أَوْطانهنَّ كَأَنْ سَمَا ... بِهَا الموجُ حَيْثُ الرَّاسِيَاتُ تَزُولُ

فهو يشبه نفسه بمجموعة من السحب المصحوبة بالرياح تسوق مجموعة من النعام ذات الرقاب الطويلة طال بها بقاؤها وموطنها ، ولكن لضعفها وقلة حيلتها استطاعت تلك الرياح سوقها وتشتيت شملها وتفرقها ، كما وصف عطش الحمام بالشدة حتى بلغت حدة العطش منه عدم قدرته على الهديل والبوح بما في نفسه ، ولكن هذه الجماعات التي كانت تسكن في أوطانها قد أدى بها الحال إلى هجر موطنها التي تستريح فيه ، وكأن الرياح هي التي تقودها إلى هذا الرحيل والاغتراب ، تماماً مثل الجبال الراسخة التي أزيلت من أماكنها رغما عنها .

---

(١) المرجع السابق ص ٥ .

فقد جعل مظاهر الطبيعة تشاركه شعوره بالوحدة النفسية ، وما أعقبها من هم وحزن وقلق وتعب وتشاؤم وتشرد ، ولم تقتصر هذه المشاركة على السحب والرياح والجبال بل شملت تأثره بالشمس أيضاً ، فهي تحزن لحزنه، وتبكي لبكائه، وشاركته شجوه وامتزجت مشاعرها بمشاعره فيقول[١]

لَعَلَّكِ يَا شمسُ عند الأصيلِ شَجِيتِ لِشَجْوِ الغريبِ الذَّليلِ

فهو هنا لم يكتف بوصف نفسه بالغريب بل أتبعه بصفة « الذليل » تأكيداً لشدة المعاناة النفسية التي يشعر بها جراء غربته ، وافتقاده الأمن والاستقرار في هذه البلاد التي رحل إليها .

ونراه يقول [٢] :

يرددن في الأحشاء حز مصائب تزيد ظلاما ليلها وهي نيران
إذا غيض ماء البحر منها مددنه بدمع عيون يمتريهن أشجان
وإن سكنت عنا الرياح جرى بنا زفير إلى ذكر الأحبة حنان
يقلن وموج البحر والهم والدجى تموج بنا فيها عيون وآذان
ألا هل إلى الدنيا معاذ وهل لنا سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان

فشعوره بالغربة جعل الليل أشد ظلمة وكأنها نار يكتوي بها كل ليلة، وجعل دموعه تمتزج بماء البحر لمشاركته للشاعر في أحزانه ، وجعل الرياح تسكن ويحل محلها عاطفته الجياشة التي يحملها لأحبابه ، وهكذا البحر والرياح والأمواج تشاركه الهم والحزن والظلام الذي يعيش فيه ،

(١) الديوان ص ٧٥ .
(٢) الديوان ص ١٨٨ .

ونلحظ اليأس الذي سيطر على نفسه في الاستفهام الذي ختم به ، بأن الدنيا لا تستحق البقاء عليها ، وليس له سوى البحر قبرًا ، والماء كفنًا ، فنفسه معذبة متألمة بعد أن فَقَدَ الأمل في العودة إلى أهله فذاقت نفسه كل ألوان العذاب واليأس .

ويقول أيضًا (١) :

لئن فاتني صرف الحمام بظلها ... لقد أخلفت لي من جنى ثمراتها

وإن غاض عيني ماء دجلة حينها ... لقد أغرقت أرضي بعد فراتها

ويقول أيضًا مشركًا معه عناصر الطبيعة (٢) :

بشراك من طول الترحل والسرى ... صبح بروح السفر لاح فأسفرا

من حاجب الشمس الذي حجب الدجى ... فجرا بأنهار الندى متفجرا

فالشاعر يتحدث عن الصعوبات التى عاناها بعد فراقه لأولاده، فالذي يخفف عنه الترحال هو طلوع الصبح على وجه مشرق وهو الخليفة المنذر بعطائه وكرمه ، فيستبشر بالخير والاستقرار في رحابه ، فلا رحيل في النهار ولا سرى في الليل ، لأن حاجب الشمس _ الخليفة المنذر_ سيحجب عنهم الترحال في دياجي الليل ، وبهذا جعل الصبح والفجر والبرد والحر وغيرها من مظاهر الطبيعة التي تشاركه مأساته بما تنطوي عليه من أحاسيس الألم والحزن والقلق والخوف التي عاشها وسيطرت على نفسه .

(١) الديوان ص ١٢٤ _١٢٥ .

(٢) الديوان ص ١٢٤ _١٢٥ .

ونراه يوضح الشاعر مدى الحزن الذي تمكن من نفسه ، واحتدام الصراع الداخلي ، ومدى سرعة الانفعالات النفسية التي يعاني منها ، فنراه يجاهد نفسه ويغالب لوعته التي تحاصره، لكن طاعة المنصور كانت أقوى ؛ ولذا لبى نداءه حيث استطاع الخليفة أن يخفف عنه غربته التي يعاني منها ، فهو يرى أنه غريب عن الناس مما أتاح للحساد والحاقدين أن ينالوا منه ويقعدوا له كل مرصد ، يقول (١) :

بعيدٌ مِنَ الأَوْطَانِ مُسْتَشعِرُ العِدى ... غَريبٌ عَلَى الأَمْوَاهِ مُتَّهَمُ الصَّحْبِ

أَقَلُّ من الرِّئْبَالِ فِي الأَرْضِ آلِفاً ... وإِنْ كَانَ لَحْمِي للحسودِ ولِلخِبِّ

وأَعْظَمُ تأْنيساً لدَهْرِي منَ المُنى ... وأَوْحَشُ مِنهُ من فتى الجُبِّ فِي الجُبِّ(٢)

فإحساسه بأنه غريب عن الناس جعله يشعر أن كل من يحاول تحقيق طموحاته وأحلامه لابد أن يحسده الناس ويحقدوا عليه وهذا من أسباب شعوره بالغربة .

هذه الأزمة النفسية أفقدته الإحساس بالأمن والاطمئنان النفسي، لذلك كان التشاؤم والقلق والحزن نتيجة طبيعية لشعوره بالغربة من الأصدقاء؛ وارتيابه منهم على الرغم من صدقهم يقول (٣):

فَإِنْ غَرَّبَتْ أرض المغاربِ مَوئِلِي ... وأَنْكَرَنِي فِيهَا خَلِيطٌ وخِلّانُ

---

(١) الديوان ص ٩٨ .

(٢) الأمواه المَاء: بَارِد رطب جمعه على الأمواه وتصغير المَاء على المويه فقلبت الْوَاو لانكسار مَا قبلهَا. لسان العرب ، لابن منظور ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ ، ج ١٣ ، ص٩٤ . الخَبَبُ: ضَرْبٌ مِنَ العَدْوِ ، المرجع السابق ، ج١ ، ص٣٤١ . الجُبّ : الْبِئْرُ غيرُ البَعيدةِ. السابق ص ٢٥٠ .

(٣) السابق ص ٨٩ .

فكم رحبت أرض العراق بمقدمي وأجـزلت البشـرى عـلـي خراسـان

فالشاعر يشعر بشدة الألم ؛ لنكران الصديق له، لكن خفف عن نفسه ترحيب أرض العراق به ، وإجزال العطاء عليه وعلى أسرته ..

هذه هي جزء من نفسية ابن دراج ، ودمعاته التي تزداد يوما بعد يوم، فكانت تلك المقطوعات مفعمة بالعاطفة والإحساس المليء بالخيانة والغدر ؛ لذلك لم يتخذ صديقا له إلا الزمان ، يقول [١] :

غـرارةُ عـيشٍ أَراهـا الغُـرورُ بـأَنَّ الزمـانَ صـديقٌ حمـيمُ

فالذي زاد من حدة هذا الإحساس هو اغترابه عن وطنه ، فهو يـرى أنه غريب عن الناس مما جعله يتخذ من الزمان صديقًا وفيًا .

وظلَّ غريبا ينتقل من مكان لآخر بحثا عن الأمل والهدوء والراحـة ، لكنه لم يجد ما تتطلع إليه نفسه ، ولم يجد من يحنو عليه ويزيل عنه هـذا الشعور النفسي الأليم .

(١) الديوان ص ٢٧١ .

المحـور الثانـي

الغربة النفسية وأثرها في شـــعر ابن دراج

« رؤية نقدية »

أولاً :الألفاظ والأســـاليـــــب

** أشكال التغاير الأسلوبي .

ينطوي شعر الغربة لدى ابن دراج على ظواهر أســلوبية منهــا : « التلون الأسلوبي » .

ونقصد به : اتخاذه بعض الظواهر الأسلوبية سبيلا للتعبير عما فـــي النفس ، وإقناع القارئ ، وحثه على القتال بشتى الطرق الممكنة ،كالأسلوب الخطابي، والأسلوب الإنشائي من نداء ، واستفهام ، وأمر ، ونهي ، وقسم ، ودعاء ... الخ .

وفي الأبيات التالية يصف رحيله ، على نحو يبرز عمــق التجربــة وقوة الحزن والأسى ، وفي نبرة خطابية تقريرية جهيرة ، يقول [١] :

مــن كُــلِّ مَفْجُــوعٍ بتَرْحَــةِ راحِــلٍ ... لَــمْ يُسْــلِهِ طَمَــعٌ بفَرْحَــةِ آيــبِ

كَذَبَتْــهُ بارِقَــةُ المُنــى عــن صــادِقٍ ... مــن ظَنِّــهِ وصَــدَقَتْهُ عــن كــاذبِ

ظُعُــنٌ سَــرَيْنَ الليــلَ ضَــرْبَةَ لازِمٍ ... وسَــرى إليهــا الهَــمُّ ضَــرْبَةَ لازِبِ

جَمُــدَتْ عَلَــيْهِنَّ القُلــوبُ فَأَسْــبَلَتْ ... فَــوْقَ المحــاجِرِ كُــلَّ قَلْــبٍ ذائِــبِ

وتَخــازَرَتْ عنهــا العُيُــونُ فــأَبْرَزَتْ ... عــن أَعْــيُنٍ بِــدِمائِهِنَّ سَــوَاكِبِ [٢]

---

(١) الديوان ص ١٦٧ .

(٢) ترحه الأمر: أصابه الهم وأحزنه، والاسم الترحة ، معجم متن اللغة ، ج١ ، ص٣٩١ . ظعنَ وظعونً: سار وارتحل ، السابق ج١ ، ص٦٥٩ .

فهو هنا يخاطب كل مفجوع برحيل عزيز عليه، ولم يفرح بقدومه، وكل من كذبته أمانيه وخدعته أحلامه ، فالخطاب إذن خاص بطائفة مفجوعة برحيل عزيز عليها ، لكنه ما لبث أن عدل من هذا الخطاب بانتقال سريع إلى سرد قصة رحيل تلك الطائفة واغترابها.

وهذا الانتقال السريع هو « أسلوب الالتفات » ، « وهو أحد المعالم البارزة في لغة المغتربين يتفننون في ذكر موطنهم القديم ، وموقعهم الجديد ، وهو إلحاح نفسي يحمل قسوة الحاضر » (١) .

وفي استخدامه تلك الثنائيات الضدية : « راحل – آيب – كذبته – صدقته .... » دليل على القلق والاكتئاب الذي تمكن من نفسه بسبب هذه الغربة.

وفي موضع آخر نراه يؤكد على المعنى نفسه ، فيشير إلى أن الشوق لا يميز بين غريب وغيره ، والمحب لا يصغى إلى من يلومه ويعاتبه ، ثم يتعجب من تلك الخطوب التي كشفت ستره ، فهو مغترب عن وطنه وليس له وطن يستقر فيه فالعام عنده كيوم ، واليوم عنده كعام ، وقد صاغ هذا المعنى في أسلوب خطابي تقريري ، تلعب فيه الصيغة الإنشائية كالتعجب ، والاستفهام دورًا في التأثير على المتلقين فيقول (٢) :

فما راع المشوقُ إِلَى غريبٍ ولا أَصغى المحِبُّ إِلَى مَلامِ
فيا عَجَبَ الخطوبِ يُبِحْنَ ستري وَقَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ بِهِ اعتصامي

(١) الاغتراب في القصيدة الجاهلية دراسة نصية . د / محمود هياجنة ص ٩٤ .
(٢) الديوان ص ٢٣٠ – ٢٣١ .

إلى قوله :

فهـــل حَـــوْلٌ يحـــولُ بـــلا رحيـــلٍ ولَـــوْ شـــيئاً نـــراه فِـــي المَنـــامِ
وأفْجِـــعْ بـــالنَّوى فِـــي دارِ سَـــفْرٍ فكَيْـــفَ نـــوىً عَلَـــى دارِ المُقـــامِ

فالاستفهام في: « فهل حول يحول بلا رحيل » ليس القصد منه طلب العلم بشيء لم يكن معلوما ، ولكنه خرج به من معناه الحقيقي إلـى معنـى القلق والحسرة والإحساس بالتشرد والضياع . وهذا يعني أنه لم يسـتطع بعد تجاوز حدة القلق والتوتر، ويأمل أن يستقر في دياره ولو في المنام لكي يتخلص من دياجير الغربة .

كذلك (الاستفهام) في قوله [١] :

فهـــل آذَنَـــتْ هِجْرَتِـــي أَنْ تـــرِيني عواقِـــبَ تَجْلُـــو كُـــرُوبَ الجَـــلاءِ
أَلَـــمْ يَتنَـــاهَ غُـــرُوبُ الغَرِيـــبِ إِلَـــى مَطْلِـــعِ الشَّـــمْسِ فِـــي الانْتِهـــاءِ
ولم أَتَّخِـــذْ جُـــنْحَ لَيْـــلِ المحـــاقِ جَنـــاحاً إِلَـــى نُـــورِ لَيْـــلِ السَّـــواءِ

فهل استطاع الشاعر أثناء اغترابه ورحيله أن يـتخلص مـن تلـك الكروب والهموم ، ألم يحن الوقت لانتهاء تغـرب ورحيـل هـذا الغريـب واستقراره من غير اغتراب وهموم ، وترك حياة الارتحال .... :

فهـــــل آذَنَـــــتْ هِجْرَتِـــــي ؟
أَلَـــــمْ يَتنَـــــاهَ غُـــــرُوبُ الغَرِيـــــبِ ؟
ولم أَتَّخِـــــذْ جُـــــنْحَ لَيْـــــلِ المحـــــاقِ ؟

هذه الأسئلة المتعاقبة تعبر عن واقع مظلم يعكس شخصية متـوترة مكتئبة، وهذه الأبيات تنطوي على نغمة حائرة تجسد معنى التيه والحيـرة ؛

(١) الديوان ص ٣٣٨ .

لتصور شخصية قلقة مضطربة ، تريد بهذه الاستفهامات أن تصل إلى إجابة تكشف له حقيقة مصيره .

* **النـــداء** .

وهو من الأساليب الإنشائية التي استخدمها ابن دراج لتلقف غربتـه النفسية ، كقوله(١) :

يـا مُـدْنِيَ الأمـلِ البعيـدِ وإنْ نَـأَى ومُبَعِّـدَ الخطـبِ الجليـلِ وإن دَنـا

وقوله مخاطباً زوجه محاولا انتزاع موافقتها على الرحيل لسبب أكبر من إرادته وأحرى أن يلبيه وهو طاعة المنصور (٢):

أجاهِـدُ الصَّـبْرَ عنهـا وَهـيَ غافِلـةٌ عـن لَوْعَـةٍ في الحشـا منهـا تُنـاجِيني

يـا هَـذِهِ كيـفَ أُعْطِـي الشَّـوقَ طاعَتَـهُ وهـذِهِ طاعَـةُ المَنصُـورِ تَـدْعُوني ؟

فهو يتوسل في خطابه لزوجه بالنداء اللطيـف مـرة، وبالاسـتفهام التقريري المبني على الدليل والبرهان مرة أخرى ، وبالمقابلـة والجنـاس والطباق مرة ثالثة ، ولا ينسى أن يلجأ إلى الله فهو الخليفـة فـي الأهـل والصاحب في السفر ، فيقول (٣) :

يـا رَبَّـةَ الخِـدْرِ اسْـتَجِدِّي سَـلْوَةً جَـدَّ النَّجـاءُ بهـائمٍ بـكِ لاعـبِ

إمَّـا شـجيتِ بـرحلتي فاستبشِـري بجميـلِ ظنّـي مـن جميـلِ عـواقبي

وَلـئن جنيـت عَلَيْـكِ تَرْحَـةَ راحِـلٍ فأنـا الـزَّعيم لَهَـا بفرْحَـةِ آيـب

هـل أَبْصَـرَتْ عينـاكِ بـدْراً طالِعـاً فِـي الأُفـقِ إلّـا مـن هـلالٍ غـاربِ

(١) الديوان ص ٢٦٢ .
(٢) الديوان ص ٥٣٦ .
(٣) الديوان ص ١١١ – ١١٢ .

وَاللهُ مـــن بعـــدِي عَلَيْـــكِ خلـــيفتي وخَليفـــةٌ هُـــديَتْ إِلَيْـــهِ مَـــذاهِبي

ومنه قوله (١) :

يـــا مـــن يُلاقـــي النَّـــازِلِين قِبابَـــهُ بجـــبينِ مَوْهُـــوبٍ وَرَاحَـــةِ وَاهـــبِ

وقوله (٢) :

هَلُـــمَّ إِلَـــى حَيْـــثُ تُنْســـى الرَّزايـــا هَلُـــمَّ إِلَـــى حَيْـــثُ تُؤْســـى الكُلُـــومُ
هَلُـــمَّ إِلَـــى حيـــثُ يُـــؤْوى الغريـــبُ هَلُـــمَّ إِلَـــى حَيْـــثُ يُحْمـــى الحـــريمُ

* **النفـــــي** .

وهو أسلوب يشيع في قصائده ؛ ليصف ما يعانيه من إحساس القلق والتوتر الذي سيطر عليه فيقول (٣) :

أَقُـــولُ لَهُـــمْ صَـــبْراً لَكُـــمْ أَوْ عَلَـــيْكُمُ عَســـى العـــيشُ مَحمـــودٌ أَوِ المَـــوْتُ عَجـــلانُ
وَلا قَـــنَطٌ واليُســـرُ لِلعُســـرِ غالِـــبٌ وَفِـــي العـــرْشِ رَبٌّ بـــالخَلائِقِ رَحْمـــانُ
ولا يَـــأْسَ مِـــنْ رَوْحٍ وَفِـــي اللهِ مَطمَـــعٌ وَلا بُعـــدَ مِـــن خَيْـــرٍ وَفِـــي الأَرْضِ خَيْـــرانُ

فهو يحاول أن يربط بين تجربته وتجربة أبنائه التي عايشـــوها فـــي رحلتهم ، وبين موضوع المدح ، وقد وفق في جمعه بين الموضوعين فـــي دقة وسلاسة ، وساعده تلك الاتكاءة الفنية التي استند عليهـــا ، إذا اســـتغل المحسنات اللفظية في تلوين أسلوبه ، كما عكس معانيه وأفكاره من خـــلال عدسة التصوير الفني .

---

(١) الديوان ص ١١٣ .
(٢) السابق ص ٢٧٣ .
(٣) الديوان ص ٩٠ .

واعتمد على أسلوب التقديم والتأخير ، وقدم الجار والمجرور على المبتدأ والخبر في قوله :

(واليسر للعسر غالب) ، (وفي الله مطمع)، (وفي الأرض خيران) مما ساعد على تجسيد الفكرة واحتواء المعنى ، كما تولد إيقاعا موسيقيا متناسقاً ومتوازناً ينجذب له السامع فيصغي مستمتعاً بنغماته .

كذلك قوله (١) :

ولا مَطْلَعٌ إلاّ مِهادِيَ أَوْ حِجْرِي ولا مَغْرِبٌ إلاّ ضُلُوعِيَ أَوْ صَدْرِي

ويقول مستخدماً أسلوب « القسم » (٢):

والله مَا زُفَّتْ ليحيى كتائِبٌ مُرَوِّعَةُ الإقدامِ مُرْهِبَةُ الجَرْسِ

* **الدعاء** .

ويقول في الدعاء (٣) :

فحَمْداً لمن رَدَّ النُّفوسَ فأَصبحَتْ لهم كالذي كُنَّا وَهُمْ كالذي كانوا

وقوله (٤) :

سلامٌ عَلَى مُسْتَوْدَعِ الرُّوحِ والنَّفْسِ وذُخْرِ غَدي مِمَّا انْتَحَبْتُ لَهُ أَمْسِ

وبهذا نوع الشاعر في أساليبه فتراوحت بين تقريرية خطابية ، وإنشائية طلبية ، استطاع من خلالها التعبير عن المأساة التي عاناها أيام الغربة ، والآهات التي شعر بها .

---

(١) الديوان ص ٥٥٩ .
(٢) السابق ص ٥١٠ .
(٣) الديوان ص ٥٨ .
(٤) الديوان ص ٣٠٩ .

** **الألفاظ ودلالتها** .

إن الغربة النفسية ظاهرة تعكس مدى العذاب النفسي الذي يمر به الشاعر وانعكس على ألفاظه بصورة لا فته ومن هذه الظواهر اللفظية :

** **كثرة الألفاظ الدالة على الأسى والحزن والعذاب والألم** ؛ لتوضح لنا عمق الألم والمعاناة التي تقوقع الشاعر في داخلها ، ومن هذه الألفاظ قول الشاعر [١]:

فَسَرَيْتُ فِي حَرَمِ الأَهِلَّةِ مُظلِماً وَرَفَلْتُ فِي خِلَعِ السّمومِ مُهجِّرا

فلفظ الظلمة ، تدل على العتمة وانعدام الرؤية ، وكذلك لفظا « السموم ومهجرا » تدل على ما يدور بداخله من الحزن والأسى والمرارة التي يعيشها .

ومنه قوله [٢]:

ظُعنٌ أَلِفْنَ القفرَ فِي غَوْلِ الدُّجى وَتَرَكْنَ مألوفَ المعاهِدِ مُقفرا

فقد جاء بلفظي الدجى والقفر، إشارة إلى السير في القفار الموحشة المظلمة ليلاً؛ ليوحي بالعذاب الذي ذاقه خلال أثناء اغترابه عن وطنه وأسرته .

ومنه قوله [٣] :

في جُنْحِ لَيْلٍ كالغُرَابِ أَطارَلِي عن مُلتَقى الأَحْبابِ كُلَّ غُرَابِ

---

(١) الديوان ص ١٢٦ .
(٢) السابق نفسه .
(٣) الديوان ص ١٨٣ .

فلفظ الليل وما يحويه من ظلمة وعذاب وتشبيهه بالغراب يدل على السواد الحالك الذي عاشه وهو بعيد عن وطنه وأحبابه .

ومنه قوله (١) :

نُـــرَوَّعُ بـــالنَّوى والـــذُّعْرُ بـــاقٍ وَنُفْجَـــأُ بالأَســـى والجُـــرْحُ دامِ

فجميع هذه الألفاظ تدل دلالة واضحة على سيطرة الخوف والأسى على نفسه ، وهو بعيد عن أهله ووطنه، وغير ذلك الكثير والكثير من الألفاظ الحزينة اليائسة التي يعج بها شعره الذي يتحدث عن الغربة والاغتراب .

ومنه قوله (٢) :

وأنجم أنـواء تنـوء بهـا النـوي وليس لها إلا دموعـي من قطـر

فهو يعبر بألفاظ النوى ، أنواء ، تنوء ، دموعي التي تدل على تمكن الحزن من نفسه مثل (النوى ، أنواء ، تنوء ، دموعي) ، فما من شك في أن للغربة أثرًا جليًا على نفسية المغترب، الذي ارتحل عن وطنه وأهله ، بغض النظر عن السبب الذي دفعه إلى الخروج من وطنه مما آلمه وأشعره بمرارة الغربة .

ومنه قوله شاكيا ضيق الأرض به وبأبنائه (٣) :

وإن ضاق رحب الأرض عن منتواهم فرحب لهم ما بين سحري إلى نحري
وإن تقس أكباد كرام عليهم فواكبدي ممن تذوب له صخري

(١) الديوان ص ٢٣١ .
(٢) الديوان ص ١٩٣.
(٣) الديوان ص١٩٢.

فهو يعبر عن الحزن والأسي بألفاظ (الضيق من رحب الأرض ، القسوة من البشر، وذوبان الصخر)، ونلحظ أن الشطر الثاني تضمين لقول عائشة – رضي الله عنها – : « مات رسول الله (صل الله عليه وسلم) بين سحري ونحري » [١] .

---

(١) صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ت: محمد فؤاد عبد الباقي : دار إحياء التراث العربي – بيروت –بَابٌ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، حديث رقم (٢٤٤٣) ج٤ ، ص١٨٩٣ .

ثانيـاً : الصـورة الشـعرية .

الصورة الشعرية « رسم قوامة الكلمات » [١] ... « وهي تختلف من شاعر لآخر؛ لأنها مزيج من الأفكار والمشاعر والعواطف حسب تكوينه المفرد ، لا يشترك فيها أحد غيره كالشأن في بصمات الإنسان ، فلا تلتقي بصمة لإنسان مع بصمة أخرى .... » [٢] .

ومع أن الألوان المجازية من أهم الوسائل في تشكيل الصورة الشعرية ، لكن هذه الألوان بذاتها لا تخلق مثل هذه الصورة ، إنما الذي يخلقها هو القوة الخيالية لاستجابة الشاعر أولاً، وعلى المدى الذي استوعب به وعيه لما يراه أو يحس به ثانيًا ، وتلك هي السمة الفارقة « بين الصورة الآسرة والصورة الساقطة ، فالصورة الآسرة من أهم خصائصها قوة الإيجاد، فهي لا تقف عند المظاهر الخارجية والتعبير المباشر ، إنه الفرق بين الذاتية المباشرة في الشعر الغنائي، والدلالة الإيحائية بالصورة الشعرية» [٣] .

وبهذا تكون الصورة الشعرية أصيلة بعيدة عن تعمد الاحتذاء والتقليد، بحيث تبدو فيها بصمات الشاعر .... وبها يستطيع أن يجدد في نسيج القديم ، ويمنحه من العلاقات أو الإضافات الجزئية ما يجعل الصورة

---

(١) الصورة الشعرية سي – دي لويس ، ترجمة أحمد نصيف الجنابي وآخرين – بغداد ١٩٨٢م ، ص ٩٢ .

(٢) البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر . د / علي علي صبح – المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م ، ط : ٢ ، ص ١١ – ١٣ .

(٣) قضايا معاصرة في الأدب والنقد د / محمد غنيمي هلال – دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة – بدون تاريخ ص ٦٠ .

تبدو وكأنها جديدة ، كما يجب أن تبرأ الصورة من الإغراق في المبالغة ؛ لأن هذا الإغراق يعد تزييفا للشعور .

والصورة الشعرية تخضع لبعض المؤثرات المتعلقة بنفسية الشاعر ، وقوة تخيله ، ومدى قراءاته ووفرة ثقافته ، أو المؤثرات اللغوية التي ترتبط بالقالب التركيبي الذي تنصب فيه الصورة ، ومدى قدرته على الإيحاء والرمز ، أو دقته في نقل المكونات الداخلية إلى المتلقي بما تنطوي عليه من إحساسات لدى المتلقي ، تتمثل في الإحساسات السمعية والبصرية والشمية واللمسية والذوقية وبهذا ما يشرك المتلقي في رد الفعل والتفاعل معها، إذ الصورة الشعرية «هي نتيجة لتعاون كل الحواس وكل الملكات»(١).

والصورة الفنية للشاعر لا تنفصل عن رؤيته الفكرية ، فكلاهما يؤدي وظائف تسهم في نجاح العمل الأدبي ، لكن هذه الوظائف لا تتم بشكل فردي فالرؤيتان تتفاعلان وتتحدان للإيضاح والبيان والخلق الإبداعي .

وهذا التوظيف الفني – بوسائله وأدواته – ركن ضروري لإنشاء البناء الأدبي ، والأديب المتمكن يستطيع بمقدرته الفنية أن يسخر تلك الأدوات ويطوعها وفق ما يؤديه تركيب النص أو سياقه في بنية العمل الأدبي تكلف يذهب برونق العبارة وأثرها في تشكيل الذوق الفني لدى المتلقي .

وابن دراج كغيره من الشعراء يمسك بزمام أدواته الفنية ، ويستطيع تحريكها والتلاعب بها حسب وظائفها المنوطة بها ، ففي عرضه لمشاهد

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب . د / جابر عصفور – دار التنوير – لبنان ، ط : ٣ / ١٩٨٣ م، ص ٢٦٥ .

المواقف الأسرية لم يخرج عن نطاق هذا الإطار الفني ، فهو وسيلته لعرض أفكاره واستكشاف مجهولها ، والمتصفح لديوانه يلحظ غلبة التصوير والصنعة الفنية على شعره شأن شعراء الاغتراب بوجه خاص، فتكثر في شعره الصورة الفنية بما تنطوي عليه من المحسنات البديعية التي تفنن في تشكيلها وتوظيفها ، وكانت الصورة المرآة العاكسة التي أظهرت علاقة بأسرته وأهله وجسدت عاطفته نحوهم وهو في غربته ، فالصورة ضالته التي يمتطي صهوتها لينقل أفكاره سواء بالصورة التشبيهية، أو الصورة الاستعارية متلاعبا بألفاظ اللغة ودلالتها .

ومن الصور البيانية الجزئية التي اعتمد عليها الشاعر :

* **الخيال التقليدي** .

فصورة التشبيه تدور حول معاني محددة لا يفتأ يكررها حتى تكاد تكون مستهلكة كتمثله بالنجوم أو الكواكب وصفاً لأبنائه وأفراد أسرته .

يقول (١) :

للهِ من عامٍ جَرى عَنْي بهِ ... جَرْيُ الأَهِلَّةِ فِيهِ والأَقْمارُ

في أَهْلِ دَارٍ كالكَوَاكِبِ والنَّوى ... بَعْدَ النَّوى فَلَكٌ بِهِمْ دَوَّارُ

لكنه في تمثله بالكواكب لم يطلق العنان لالتمثيل ، بل اهتم بتقييده ضمن إطار يحدد زواياه ويرسم أبعاده ، وينشئ –في الوقت ذاته – تشبيهاً ثانيا ملائما للتشبيه الأول ومكملا له، فالكواكب التي التقطتها عدسة الشاعر مرتبطة بفلكها ولا يحق لها أن تحيد عنه أو تدور خارج حدوده ، وهي

(١) الديوان ص ١٥٧ .

صورة عاكسة لأفراد أسرته الذين تتقاذفهم النوى ويتلقفهم التغرب وليس بمقدورهم كسر قيده أو الخلاص منه ، وتأتي صورة النجوم في شاهد آخر لتكشف عن جانب آخر من جوانب معاناة الشاعر مع أفراد أسرته، يقول[١]:

ومن يَسْمعْ بأَنَّ نُجومَ لَيْلٍ هَوَتْ مَعْ بَدْرِها ، فَهُمُ أُولاءِ

فظاهرة أفول النجوم ربما تكون معروفة ولكننا نستبعد هويّ البدر ؛ وكأنه يستعظم ذلك الأمر فيقدم له بقوله : « ومن يسمع » ، أما الأمر أو الحقيقة التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي فهي سوء المعيشة وتدني الأحوال التي آل إليها مع أبنائه وبلوغهم الذل والهوان بعد المكانة الرفيعة والحياة الكريمة التي كانوا ينعمون بها ؛ ولذلك يوظف صيغة الماضي « هوت » بما يوحي به من معنى الوقوع العنيف، والانحدار المفاجئ السريع ، كأنه يجد في تلك الدلالة ترجمة واضحة لشعوره وتعبيراً صادقاً عن تغير حاله وتدهور أوضاع معيشته بعد تعرضه للاغتراب عن أهله ووطنه .

ومن صوره التشبيهية التي تعبر عن اغتراب أبنائه [٢] :

بِسَبْعٍ كَسَبْعِ سَمامِ السَّمُومِ وَأَرْبَعَةٍ كَرُبُوعِ العَفَاءِ

فهو يشبه أولاده السبعة الذين رحل عنهم بطائر السماني الذي عصفت عليه رياح السموم فاضطرته إلى الرحيل .

ويقول أيضا معبراً عن حالة الاغتراب [٣] :

ألا هَلْ إِلَى الدُّنيا مَعادٌ وهلْ لَنا سِوى البحْرِ قَبْرٌ أَوْ سِوى الماءِ أَكْفانُ ؟

---

(١) الديوان ص ٣٢٥ .
(٢) الديوان ص ٣٤٠ .
(٣) الديوان ص ٨٨ .

فقد شبه البحر بالقبر ، وجعل الماء أكفانا ، وهو تشبيه يشعر بأن المشبه هو المشبه به ، وهذا دليل على شدة الضيق وإحساسه بدنو الموت منه ، ولذلك قال : «ألا هل إلى الدنيا معاد » .

ومنه قوله (١) :

في جُنْحِ لَيْلٍ كالغُرَابِ أَطارَلِي عن مُلتَقى الأَحْبابِ كُلَّ غُرَابِ

فالتشبيه يسير على الصورة القديمة التقليدية ، وتعج قصائد الاغتراب النفسي عند ابن دراج بالعديد من التشبيهات الرائعة التي تضفي على المعنى الدقة والجمال .

ومن صوره الكنائية قوله (٢)

وَلا أَلْقَوا عَصا التَّسيارِ حَتَّى عَفَتْ حَلَقُ البِطانِ من اللِّقاءِ

فقوله « حلق البطان » كناية عن استبداد الأمر بهم ، فالبطان هو الحزام الذي يشد تحت بطن البعير .

ومثله (٣) :

وَتأْخِيرَ رِجْلٍ بعدَ تقديمِ أُختِها حِذاراً لدهرٍ لا يُغَمِّضُ عن حَربي

فالشطر الأول كناية عن شدة تردده وحيرته .

فمن خلال استخدامه تلك الصورة التشبيهية والكنائية أن يبرز جانبا من جوانب معاناته النفسية، والكشف عن عمق إحساسه بالغربة والاغتراب.

---

(١) الديوان ص ١٨٣ .
(٢) الديوان ص ٣٢٥ .
(٣) الديوان ص ٩٩ .

** المفارقـــة التصـــويريـة

وهي ملمح تصويري كثير الورود في شعر ابن دراج ، والمفارقة تعني وضع الصورة وجها لوجه أمام نقيضتها حتى يظهر الفارق الشاسع بينهما ، فبضدها تتميز الأشياء كما يقال .

وقد لجأ هذا الأسلوب ليظهر المفارقة بين الحالتين وشدة معاناته وانفعاله ، ومن أمثلة ذلك قوله [١] :

وإن أَعلقَــتْ فِــي حبــلِ مُلْكِــكَ حَبْلَهــا ... فحبــلٌ مــن الأَحبــابِ مُنْصَــرِمُ القَطْــعِ

وإن أَخصَــبَتْ فِــي زرْعِ نعمــاكَ رَعْيَهــا ... فكَــمْ قَــدْ تخَطَّــتْ ودِايــاً غَيْــرَ ذي زَرْعِ

وإن أرفَهَــتْ فِــي بحــرِ جــودِكَ شِــرْبَها ... فَمِــنْ ظِمْءِ عَشْرٍ فِي الهجيرِ إِلَــى تِسْــعِ

وإنْ تُحْــيِ يَــا يَحْيَــى حُشاشَــةَ نفسِــها ... فَنُغْبَــةُ حَسْــوِ المــوتِ موشِــكَةُ الجَــزْعِ

فهو في هذه المقطوعة يوقفنا على صورتين متناقضتين، صورة الماضي الأليم عندما كان حبل شملهم منقطعا ، وكانوا في وادي غير ذي زرع ، والصورة المقابلة عندما أصبحوا في رحاب الممدوح فجمع شملهم وأخصب حياتهم ، وبعد الظمأ والتلظي بنار الهجير ارتووا بأعذب ماء ، وبعد أن احتسوا كأس الموت ، وتجرعوا آلامه أحياهم كرمه وعطائه ، فهذا التقابل جعلنا نشاهد تلك الصورة ، فاجتماع الشمل وعدمه شخصه في الحبل، والتنعيم بالخير ، جسده في خصوبة الزرع ، والفقر شخصه في الوادي اليابس الذي لا ماء فيه ، كما أنه جعل الموت كالماء الذي يحشى ويتجرع . أما العاطفة التي غلفت هذه الأبيات، فهي في اللون المتداخل الذي

---

(١) الديوان ص ٢٥٧ .

يولد قمتين نفسيتين .

الأولى : قمة العبوس والقتامة والحزن ، وتتمثل في الماضي الأليم بذكرياته السيئة .

والثانية : قمة الإشراق والتوهج والسعادة يعكسها الحاضر الذي يعيشه الشاعر بجوار الممدوح .

وقد اجتمع لهذه اللوحة من عناصرها (الصوت ، اللون، الحركة) ما يقيم بناءها ، وينبئ عن مدى دقة إحكامها ، وأن شاعرنا قد عاشها بنفسه ، وقد تمثل الصوت في صوت الخطى ، واللون كان ماثلاً في لون الزرع والخضرة . وكانت الحركة متجسدة في حركة الزرع حين يتمايل مع الريح حركة الحبل حين يتمايل يمينا ويسارا .

ومنه قوله أيضاً (١) :

فَبُدِّلْنَ مِنْ بَعدِ خفضِ النَّعيم ... بشَقِّ الحُزُونِ وَوعْثِ السُّهولِ
ومِنْ قِصَرِ اللَّيلِ تَحْتَ الحِجال ... بِهَوْلِ السُّرى تَحْتَ ليلٍ طويلِ
وَمِنْ عَلَلِ الماءِ تَحْتَ الظِّلالِ ... صِلاءَ القُلوبِ بحَرِّ الغليلِ
ومن طيب نفحٍ بنَوْرِ الرِّياضِ ... تَلظِّيَ لفحٍ بنارِ المَقيلِ
ومن أُنسِها بَيْنَ ظِئْرٍ وتِربٍ ... سُرى لَيْلِها بَيْنَ ذيبٍ وغَوْلِ
ومن كُلِّ مَرْأَىً مُحيًّا جَميلٍ ... تَلقِّي الخُطُوبِ بصبْرٍ جميلِ

فهو هنا يوظف التقابل بين صورة الاستقرار وصورة الرحيل في تركيب واحد؛ ليبرز المفارقة بين الصورتين التي تحمل خلف هذه المقابلة

(١) الديوان ص ٧٨ .

إحساسا متناقضا يجمع بين الفرح والحزن المتمثل في خفض النعيم ووعث السهول، وبين صورة (قصر الليل تحت الحجال، وهول السرى تحت ليل طويل) وبين (علل الماء تحت الظلال ، وصلاء القلوب بحر الغليل) وبين (طيب نفخ ، بنور الرياض) ، (وتلظى لفح بنار المقيل) وبين الإقامة بين (ظئر ، وترب) ن والسرى بين (ذيب وغول) .

فهذه المفارقة صورت اختلاط الكآبة بالفرح تبعا لتغير الحال فالأبيات تصور حالة نفسية نمّ عنها وصرح بها حالة الغربة والرحيل الدائم.

على أن هذه اللوحة الرائعة توفر لها من عناصرها (الصوت ، اللون ، الحركة) ما يجعلها لوحة فنية رائعة تستحوذ على العقول ، وتستهوي الأفئدة .

أما اللون – فشاهدناه في ظلام الليل – ونور الرياض .

ولمسنا الحركة في سريان الليل بين الذيب تارة والغول أخرى وحركة المياه العليلة تحت الظلال .

وأما الصوت فسمعناه في خرير الماء – صوت النار تتلظى في المقيل ، وصوت الذيب والغول .... الخ .

غير أن المفارقة التصويرية تكون أعمق أبعادا وأقوى إيحاء حين يتوهج وجدان الشاعر، فيوازن بين حال النعيم وحال الضيق والفقر، يقول[١]:

فَلَئِنْ صَفَا ماءُ الحياةِ لَدَيْكَ لي ... فَبما شَرِقْتُ إليكَ بالماءِ الصَّرى

ولَئِنْ خَلَعْتَ عَلَيَّ بُرْداً أَخضَرا ... فلَقَدْ لبستُ إليْكَ عَيشاً أَغْبَرا

(١) الديوان ص ١٢٧ .

ولَـــئِنْ مَـــدَدْتَ علـــيَّ ظِلّـــاً بـــارِداً فلكـــم صُـــلِيتُ إليـــكَ جَـــوّاً مُســـعرا

إلى أن قال :

فلَـــئِنْ تركْـــتَ اللَّيـــلَ فَـــوْقِيَ دَاجِيـــاً فلقـــد لقيـــتُ الصُّـــبحَ بعـــدَكَ أَزْهَـــرَا

فالتقابل هنا يكشف عن حياة قائمة على المتناقضات ، حيث جمع بين (صفاء الماء – ماء الصرى) وبين (برداً أخضرا) وبين (عيشاً أغبرا)، وبين (ظلاً باردا ، وجوا مسعرا) ، وبين (ليل الدجى ، والصبح الزاهر)، فنشأت هذه المفارقة التصويرية لحال النعيم وحالة الضيق والفقر ، فصفاء الماء دلالة على رغد العيش ، أما ماء الصرى فدليل على الحاجة.

وقد توافرت لهذه اللوحة (اللون – الصوت – الحركة) . فاللون يتمثل في (البرد الأخضر) ، الذي يدل على الغني والخير وكذلك لون الثياب، وأما لون العيش الأغبر الذي يدل على الفقر .

وأما الحركة فتتمثل في حركة اللبس والخلع ، حركة الليل وطلوع الصبح ، ونسمع الصوت في صوت الماء .

وبهذه المقابلة يضعنا أمام عاطفتين متناقضتين ، عاطفة مشرقة مبهجة تدل على الخير ورغد العيش ، وعاطفة غائمة حزينة تدل على الفقر والحاجة .

ومن شأن هاتين العاطفتين المتناقضتين ، أن يظهرا جمال الخير وأهله ، وقبح الفقر والمجاعة ، فبضدها تتمايز الأشياء .

ثالثاً : البنـاء الموسـيقي

إذا صح أن الشعر إيحاء فإن الموسيقى الشعرية من « أقوى عناصر هذا الإيحاء في الشعر ، وأداة من أبرز الأدوات التي يستخدمها الشاعر في بناء قصيدته ، وهي من الفوارق الجوهري التي تميز الشعر عن النثر» (١) وذلك « لما لها من تأثير على نفوس السامعين مثلها مثل الخيال ، بل ربما يستغني الشاعر عن الخيال في بعض أبياته ، ولا يستطيع أن يستغني عن الموسيقى » (٢) .

فالعلاقة بين الشعر والموسيقى « علاقة عضوية ، فالشعر في صياغته الفنية يتكون من تفعيلات تمثل وحدات موسيقية تكسب القصيدة نغما آسراً مؤثراً وحين تفقد القصيدة سحر هذا النغم ؛ ينقطع ذلك الخيط الفني الدقيق ، الذي يشد المتلقي إلى سماع الشعر » (٣) .

ومعروف « أن البناء بالموسيقى في مقدمة البنى التي تتكون منها القصيدة عند العرب ؛ لأن القصيدة إذا فقدت العنصر النغمي « الوزن الشعري » خرجت من دائرة الشعر إلى دائرة النثر » (٤)

وإذا تأملنا عناصر الموسيقى الشعرية في شعر الاغتراب عند ابن دراج نجد أنه توفر لديه مصدرين هما : [**الوزن والقافية**] .

---

(١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة . على عشري زايد ص ١٥٤ .
(٢) في النقد الأدبي . د / شوقي ضيف ص ١٥١ .
(٣) موسيقي الشعر العربي بين الثبات والتطور . د / صابر عبد الـدايم ، ط ١ / ١٩٩١ م ، دار الأرقم للطباعة والنشر ص ٦ .
(٤) موسيقى الشعر بين الثبات والتطور ص ٩ .

١- الوزن :

اللافت أن ابن دراج عزف على أوتار البحور التقليدية المعروفة باتساع تفاعيلها وانبساطها وجلال العواطف والتي بها من الجلال والأبهة ما يسمح بإبعادها عن أجواء الخفة ، ويقارب بينها ، وبين أجواء الحماسة والفخر والاستعلاء والكبرياء والمقاومة والانتماء ، وما إلى ذلك مما يتجاور معه شعر الغربة النفسية عند الشاعر ، كما في نظمه على تفاعيل بحر الكامل [متفاعلن – متفاعلن – متفاعلن] مكررة أو تفاعيل بحر الطويل [فعولن – مفاعيلن – فعولن – مفاعلن] مكررة ، او تفاعيل بحر البسيط [مستفعلن – فاعلن – مستفعلن] مكررة ، أو تفاعيل بحر الوافر [مفاعلتن – مفاعلتن – مفاعلتن] مكررة .... الخ .

فمثلاً قصيدته التي يمدح بها المنصور بن أبي عامر جاءت على أنغام بحر الكامل ، يقول فيها (١) :

أَيَّامَ لا نَرْتَاعُ مِن صَرْفِ النَّوَى أَمْناً ولا نُصْغِي لِنَعْبِ غُرَابِ

وأيضاً قصيدته في المنصور منذر بن يحيى يقول فيها (٢) :

بُشْراكَ مِن طُولِ التَّرَحُّلِ والسُّرى صُبحٌ بِرَوْحِ السَّفْرِ لاحَ فأَسْفَرا

وقصيدته في مدح المنصور بن أبي عامر جاءت على إيقاعات بحر الطويل ، وفيها يقول (٣) :

لَكَ اللهُ بِالنَّصْرِ العزيزِ كَفيلُ أَجَدَّ مُقامٌ أَم أَجَدَّ رَحيلُ

---

(١) الديوان ص ١٦ .

(٢) الديوان ص ١٢٤ .

(٣) الديوان ص ٣ .

وقصيدته في « سليمان المستعين بالله أمير المؤمنين » جاءت من الطويل أيضاً يقول فيها (١) :

وأُنِّـــسَ شَـــمْلٌ بـــالتفرُّقِ مُـــوحِشٌ وحَـــنَّ خلـــيطٌ بالصـــبابة حَنَّـــانُ

وعلى أنغام بحر الخفيف جاءت قصيدته التي يقول فيها (٢) :

بَلَّغَـــتْ عَبـــدَكَ الخطـــوبُ مـــداها يـــومَ تبليغِـــكَ النُّفـــوسَ مُناهـــا

وعلى أنغام بحر البسيط ينظم قصيدته التي يقول فيها (٣) :

أَهَـــلَّ بـــالبَيْنِ فانْهَلَّـــتْ مدَامِعُـــهُ وآنـــس النَّفـــرَ فاســـتكَّتْ مســـامِعُهُ

وعلى أنغام بحر البسيط أيضاً يقول (٤) :

وَطِّـــنْ فـــؤادَكَ إن كَـــانَ الرحيـــلُ غَـــدَا إنَّ الأَســـى إلْفُـــهُ مـــن بعـــدِهِمْ أَبَـــدَا

وعلى إيقاع بحر المتقارب أيضا يقول في رثاء السيدة أم هاشم أمير المؤمنين المؤيد بالله (٥) :

بَقـــاءُ الخلائـــقِ رَهْـــنُ الفَنـــاءِ وقَصْـــرُ التَّـــدانِي وَشـــيكُ التَّنـــائي

أما بحر الوافر بتفعيلاته الثائرة والمزمجرة فقد نظم عليها قصيدته في مدح ابن أزرق الكاتب يقول (٦) :

أَخُـــو ظَمَـــأٍ يَمُـــصُّ حَشَـــاهُ سَـــبْعٌ وأَرْبَعَـــةٌ وكُلُّهُـــمُ ظِمـــاءُ

---

(١) الديوان ص ٥٨ .
(٢) الديوان ص ٦٩ .
(٣) السابق ص ١٣٧ .
(٤) الديوان ص ٣٥٤ .
(٥) الديوان ص ١١٩ .
(٦) الديوان ص ٣٢٧ .

ويقول أيضاً [١] :

وتبسُـــطَ منـــك للغُرَبـــاءِ وَجْهـــاً يُجَلِّـــي عَـــنْهُمُ كُـــرَبَ الجَـــلاءِ

واللافت من خلال دراسة شعر الاغتراب عند ابن دراج القسطلي أنه سار على عمودية القصيدة، أي على النمط الخليلي ، فهو إذن شاعر تقليدي غير متمرد على أحادية الوزن .

٢ - **القافية** :

وهي الشق الثاني للموسيقى الخارجية ، وتعد قسيم الوزن في تشكيل الإيقاع النغمي داخل القصيدة ، والمرفأ الذي يستقر عليه في نهاية كل بيت ما تبقى من شحنات الشاعر العاطفية والانفعالية .

أما في شعر الغربة النفسية عند ابن دراج فاللافت أنه اعتمد بشكل كبير على الأصوات المجهورة التي تتسم بالقوة والشدة، ولعل الظروف القاسية التي عاشها كانت وراء هذا الاختيار الموسيقي الصاخب ؛ ولذلك جاء هذا الانفعال شديداً ، كما أن للظروف التي نظمت القصائد لأجلها (المديح) سببا في ظهور هذا الصوت المجهور ، والذي لابد أن « ترسم بإيقاعه الواضح أجواء أسطورية تواكب معاني القوة والشجاعة والشرف والكرم والبطولة والفروسية والمجد التي تخلع على الممدوح » [٢] .

ومن أمثلة القوافي المجهورة قوله متشوقاً لأسرته وهو في دار الغربة مخاطبا الربيع، لينقل شوقه ودموعه الساكبة قائلاً [٣]:

---

(١) السابق ص ٣٢١ .

(٢) قصيدة المديح – قضاياها الموضوعية والفنية – عصر الطوائف . د/أشرف نجا ص٢٦٦ .

(٣) الديوان ص ١٦٧ .

قُــلْ للرَّبِيــعِ اسْــحَبْ مُــلاءَ ســحائِبِ فَــاجْرُرْ ذُيُولَــكَ فِــي مَجَــرِّ ذَوائِــبي

لا تُكْــدِيَنَّ ومِــن ورائِــكَ أَدْمُعِــي مَــدَداً إِلَيْــكَ بفَــيْضِ دَمْــعٍ ســاكِبِ

ويقول متحدثا عن غربته (١) :

غريــبٌ كساهُ الــبينُ أَثــوابَ مُــدْنَفٍ وحَفَّــتْ بِــهِ الأَشْــجانُ حــفَّ الولائِــدِ

فالقافية جاءت على حرف الدال الذي يتسم بالشدة ، إضافة إلى حركة الكسرة ، مما أكسب القصيدة إيقاعا موسيقيا قويا وحزينًا ، وتزداد رغبة ابن دراج في انجلاء الأسى والحزن لتأتي القافية – أيضا – شديدة الانفعال والقوة إذا صيغت الأبيات حرف اللام المجهورة مع الكسرة، يقول (٢) :

فلَعَــلَّ غايــاتِ الــدُّجى أَن تَنْتَهِــي وعَســى غيابــاتُ الأَســى أَن تَنْجَلِــي

أما القافية المهموسة فقوله يمدح الوزير عيسى بن سعيد بكرمه فآواه وقربه منه، فجاءت القافية مبنية على حرف الحاء المهموس مع الكسرة ، فيقول (٣) :

وآوانِــي إِلَــى رُكْــنٍ شَــديدٍ وأَوْفَــى بِــي عَلَــى أَمَــلٍ مُتــاحِ

ويتحدث عن أبنائه الذين يجوبون الصحاري مغتربين ، فكانت القافية على حرف الهاء والألف الممدودة ، يقول (٤) :

جُسُــوماً أَقَلَّتْهــا الرِّيــاحُ فَلَــمْ تَــدَعْ لَهُــنَّ مِــنَ الأَرواحِ إِلّــا أَقَلَّهــا

(١) الديوان ص ٤٠٥ .
(٢) السابق ص ٤١٧ .
(٣) السابق ص ٤٩ .
(٤) السابق ص ٢٢٣ .

ويتحدث ابن دراج عن آماله في جمع شمله بـــ (المنصور منذر بن يحيي) ، فجاءت القافية مبنية على حرف السين المكسورة ، يقول [١] :

وتُجْمَــعُ شمــلُ الوَصْــلِ مــن فُرْقَــةِ القِلــى

ويُرْفَــعُ بَنْــدُ الوَصــلِ مــن مَصْــرَعِ الــنِّكْسِ

والملاحظ في تلك القوافي سواء المجهورة أو المهموسة اعتمادها على القافية المطلقة [٢] في معظم قصائد الاغتراب ، بينما تمثلت القوافي المقيدة [٣] والتي تناولت الحديث عن هذا الموضوع شيئاً بسيطاً لا يذكر ، وهذا يؤكد حرص الشاعر على اختيار القافية المطلقة أكثر منه على القافية المقيدة » [٤] .

فالقافية المطلقة تضيع بالحركة والموسيقى أكثر من غيرها، وهذه الحركة تلائم الحالة الشعورية الانفعالية المصاحبة للشاعر وهي الإحساس بالاغتراب .

كما نلحظ اتكاء الشاعر على « التصريع » [٥] في بعض الأحيان ، كقوله متحدثا عن غربته [٦] :

---

(١) الديوان ص ٥٠٩ .

(٢) القافية المطلقة هي : ما كانت متحركة الروي – علم العروض والقافية . تأليف عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦ هـــ) دار النهضة العربية – بيروت ص ١٦٥ .

(٣) القافية المقيدة هي :ما كانت ساكنة الروي . السابق ص ١٦٤ .

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها . د/ تمام حسان – دار الثقافة – طبعة ١٩٩٤م ص ١٧١ .

(٥) التصريع هو أن يغير صيغة العروض فيجعلها مثل صيغة الضرب. ينظر : القوافي تـــأليف القاضي أبو يعلي عبد الباقي التنوخي (ق ٥ هـــ) ، تحقيق د / عوني عبد الرءوف – مكتبة الخانجي بمصر ، ط : ٢ / ١٩٧٨ م ، ص ٧٦ .

(٦) الديوان ص ٢٢٢ .

أَخَفْضاً نَوَتْ فِينا النَّوى ولَعَلَّها أَجَدَّ بِهَا طُولُ السُّرى فأَمَلَّها

وَحاشَ لأَصْدَاءِ الفَلا أن تَصُدَّها بِنا أَوْ أَضَالِيلِ الدُّجى أَنْ تُضِلَّها

وقوله متحدثا عن رحيله واغترابه [١] :

أَهَلَّ بِالبَيْنِ فانْهَلَّتْ مدَامِعُهُ وآنَسَ النَّفرَ فاستَكَّتْ مسامِعُهُ

ولا يخفى ما أكسبه التصريع لتلك الأبيات من قيمة موسيقية رائعة فقد « شاكل في أحوال كثيرة من الكلمتين الأخرتين في البيت كأنه يجعل له قافيتين « قافية داخلية – وقافية خارجية » ولم يدفعه إلى ذلك إلا أنه يريد أن يرتفع بالصوت في مقطعين متقاربين وهو لذلك يخرجه هذا الإخراج المنظم المقطع تقطيعا صوتيا دقيقاً » [٢] .

(١) الديوان ص ١٣٧ .

(٢) الفن ومذهبه في الشعر العربي. د/شوقي ضيف– دار المعارف– مصر، ط: ١٢، ص٥٠ .

الخاتمة والنتائج

بعد هذه المعايشة لشعر الغربة النفسية وأثرها لدى ابن دراج القسطلي، توصل البحث إلى عدة نتائج أهمها :

** – الغربة النفسية من الظواهر الاجتماعية اللافته في شعر ابن دراج القسطلي ، وقد أبرز البحث بواعث هذه الغربة ودوافعها .

** – امتلاك الشاعر أدواته الفنية، التي جسدت تجربة اغترابه ، واستطاع أن يسقطها في شعره قوة وجمالاً وتأثيراً .

** – كانت ظاهرة الغربة النفسية أبرز عوامل بناء شعره ،حيث ميزته بالقوة والجودة وحسن السبك .

**– اتسعت دائرته الشعرية وغزر إفرازه الشعري ، وتنوعت أفكاره في شعر الغربة النفسية الذي عبر عن همومه وقلقه وألمه وحزنه ، وإحساسه باليأس والذل والضياع والتشرد .

** – قصائده حول الغربة النفسية تثير الشجن والألم خاصة أنه لم يكتف بتصوير همومه واغترابه فقط ، بل وصف اغتراب أبنائه وهمومهم ومعاناتهم ، ولعل هذا الوصف أو الإحساس الأسري من أهم ما تميز به ابن دراج عن غيره من شعراء عصره .

** – غلب على عاطفة ابن دراج الاضطراب والقلق النفسي الذى ظهر في استخدامه للثنائيات الضدية ، والسياقات المعنوية التي تبرز ذلك القلق .

** – تعددت في شعره الأنماط التصويرية ، كما تأثرت صوره الشعرية بالغربة النفسية، كاشفة عن اغترابه وغربته من خلال الصور التقليدية، والمفارقة التصويرية .... الخ .

** – كثرة ألفاظ الحزن والأسى في شعره لتصور غربته النفسية .

** – كما كشفت الدراسة الموسيقية لقصيدة الغربة النفسية اهتمام الشاعر بالجانب الموسيقي ، الذي عكس جانبا من جوانب معاناته وهمومه مع إعطاء إيقاع صوتي يكشف عن حالة الحزن والألم والتشرد والضياع التي عاشها ، وجعلنا نعيش معه لحظاته الحزينة من خلال قوة العاطفة، وبراعة التصوير والموسيقى .

أهم التوصيات :

** وفي النهاية أوصي بعقد موازنات متنوعة بين ابن دراج وغيره من شعراء عصره كابن خفاجة الأندلسي وابن شهيد وغيرهما ؛ لنستنتج أيهما تفوق في نظمه للقصائد، وامتاز بالصدق الفني .

** كما أوصي بدراسة الغربة النفسية في شعر الشعراء بعامة ، وشعراء الأندلس على وجه الخصوص .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت المصادر والمراجع

- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . د / أحمد هيكل – دار المعارف ١٩٨٥.
- أدب الغرباء ، لأبي الفرج الأصبهاني ، ، تحقيق د/ صلاح الدين المنجد، _ دار الكتاب الجديد _ ، بيروت ، لبنان ١٩٧٢م
- الاغتراب والإبداع الفني د / محمد عباس يوسف – دار غريب للطباعة والنشر ، ط : ٢٠٠٤ .
- البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر . د / علي علي صبح – المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦ م .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة – بيروت ، ط : ٢/ ١٣٩٩ هـ (ق ١ – جـ ٢ ص ١٧) .
- الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث ، طلعت عبدالعزيز أبو العزم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م .
- تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ – ١٩٩٥ م.
- تجربة الغربة والحنين في شعر ابن خفاجة الأندلسي ، إعداد فتيحة دخموش ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، الجمهورية الجزائرية .
- دراسات أدبية . د / أحمد هيكل ، ط : ١ ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٠م .

- ديوان ابن دراج القسطلي. د / محمود علي مكي – الطبعة الأولى ١٣٨١هـ – ١٩٦١ م – المكتب الإسلامي .
- صحيح مسلم . تأليف مسلم بن حجاج النيسابورى ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، ١٩٩٥ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الصورة الشعرية سي – دي لويس ، ترجمة أحمد نصيف الجنابي وآخرين – بغداد ١٩٨٢ م.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب. د / جابر عصفور – دار التنوير – لبنان ، ط : ٣ / ١٩٨٣ م .
- علم العروض والقافية . تأليف عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦ هـ) دار النهضة العربية – بيروت .
- الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (١٩٤٥ – ١٩٦٢) ، تأليف / عمر أبو قرورة– منشورات جامعة باتنة .
- الفن ومذهبه في الشعر العربي، د / شوقي ضيف – دار المعارف – مصر، ط : الثانية عشر.
- في النقد والأدب ، إيليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني بيروت ،ط٥ ، ١٩٨٦م .
- في دراسة التراث د / محمود إسماعيل – رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة ٢٠٠٤ م.
- قرطبة الإسلامية في القرن الخامس الهجري الحياة الاقتصادية والاجتماعية . محمد عبد الوهاب – الدار التونسية ١٩٨٤م .

- قصة العرب في أسبانيا – ستانلي لين بول – ترجمة علي الجارم – جزيرة الروضة ١٩٤٤م.
- قضايا معاصرة في الأدب والنقد د / محمد غنيمي هلال – دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة –.
- القوافي ، تأليف القاضي أبو يعلي عبد الباقي التنوخي (ق ٥ هـ) ، تحقيق د / عوني عبد الرءوف – مكتبة الخانجي بمصر ، ط : ٢ / ١٩٧٨ م .
- اللغة العربية معناها ومبناها . د / تمام حسان – دار الثقافة – طبعة ١٩٩٤م .
- مختار الصحاح ، زين الدين أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى سنة ٦٦٦ هـ) ، تحقيق / يوسف الشيخ محمد – المكتبة العصرية ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م .
- موسيقي الشعر العربي بين الثبات والتطور . د / صابر عبد الدايم ، ط ١ / ١٩٩١ م ، دار الأرقم للطباعة والنشر .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . أبو العباس شمس الدين بن خلكان (ت ٦٨١ هـ) ، تحقيق إحسان عباس – دار صادر – بيروت ، ط : ١٩٠٠ .

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١.	ملخص	٨٩٩٣
٢.	Abstract	٨٩٩٥
٣.	المقدمة	٨٩٩٧
٤.	تمهيـد :	٨٩٩٩
٥.	المحـور الأول الغربة النفسية في شعر ابن دراج «الجانب الموضوعي»	٩٠٠٦
٦.	المحـور الثاني الغربة النفسية وأثرها في شـعر ابن دراج «رؤية نقدية»	٩٠١٩
٧.	الخاتمة والنتائج	٩٠٤٤
٨.	ثبت المصادر والمراجع	٩٠٤٦
٩.	فهرس الموضوعات	٩٠٤٩

تم بحمد الله